

ترجمات



# التاريخ والسوسيولوجيا: ما هي السوسيولوجيا التاريخية؟

• جيرى سوبرت Jiri Subrt •

ترجمة:

محمد بوسرغين

إلهام الهنتي



مركز نهوض  
للبحوث والدراسات  
NOHOUDH CENTER  
FOR RESEARCHS  
AND STUDIES

# التاريخ والسوسيولوجيا: ما هي السوسيولوجيا التاريخية؟

• جيرى سوبرت (\*) Jiri Subrt •

ترجمة:

محمد بوسرغين<sup>(1)</sup>

إلهام المنتهي<sup>(2)</sup>

(\*) جامعة شارلز ببراغ، كلية العلوم الإنسانية، جمهورية التشيك.

(1) باحث في العلوم الاجتماعية، حاصل على البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة محمد الخامس المغرب، وعلى الماجستير في العلوم الاجتماعية من معهد الدوحة قطر، ومحرر (أول) علوم إنسانية واجتماعية بجامعة قطر.

(2) باحثة في العلوم الاجتماعية، حاصلة على البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة محمد الخامس المغرب، وعلى الماجستير في التحولات السوسيوإقليمية والحركات الاجتماعية من جامعة محمد الخامس المغرب.

## الفهرس:

٣.....	الفهرس
٤.....	مقدمة المترجمين
٦.....	مقدمة
٦.....	حوار الضم؟
١١.....	فيما يخص التقارب والتباعد
١٧.....	السوسولوجيا التاريخية المقارنة المعاصرة
٢٣.....	المراجع

## مقدمة المترجمين:

تُعَدُّ السوسيولوجيا التاريخية حقلاً معرفياً عابراً للتخصصات، تسعى إلى دراسة الإشكالات المطروحة في المجتمعات المعاصرة، وذلك بتوظيفها للعلوم التاريخية لشرح المجتمع وتطور بنيته الاجتماعية، مع التركيز على قضايا التحديث Modernization من خلال عناصره الرئيسة المتمثلة في التصنيع والدولة القومية والرأسمالية.

كما تهدف السوسيولوجيا التاريخية إلى دراسة سيرورة القضايا الاجتماعية في أمدها الطويل، وتتعامل مع مشاكل التحديث، والنزعات العولماتية وتأثيراتها، وكذا مع سيوروات الاندماج والتفكك، والتعدُّد الديني والثقافي، وقضايا ربط الكوني بالمحلي، وتركّز على دراسة التغيير الاجتماعي Social Change واكتشاف الآليات والهيكل الاجتماعية التي تسمح للجهات الفاعلة - فرديةً كانت أو جماعيةً - بالتأثير في التنمية الاجتماعية. وكما هو متعارف عليه أن في العلوم الاجتماعية والإنسانية لا توجد حقائق مطلقة، لكن بالأحرى مجموعة من التفسيرات والتأويلات المحتملة؛ فالسوسيولوجيا التاريخية تتميز عن النظريات الكلاسيكية بتبنيها لفكرةٍ أساسيةٍ مفادها عدم وجود تفسيراتٍ كونيةٍ كبرى، وأن النظريات الاجتماعية ليست عالميةً؛ وبذلك فقضايا السوسيولوجيا التاريخية

منفتحةً على (إعادة) التفسير للإشكالات التي قاربت نفسها من المنطلقات النظرية الماكرو-تفسيرية.

الشيء الذي جعل السوسيولوجيا تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار منذ السبعينيات من القرن الماضي مع مجموعةٍ من الباحثين من بينهم تيدا سكوكبول، وفرناند بروديل، وأنطوني غدنز، وميشيل مان...، الذين قطعوا مع التوجُّه التقليدي الأحادي، ورَكَّزوا على الترابط المتبادل والضروري بين التاريخ والسوسيولوجيا والاعتراف بالسوسيولوجيا التاريخية على اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من عملية تفسير الظواهر الاجتماعية وفهمها.

وتكْمُن أهمية هذا المقال الذي ترجمناه في مستويين: الأول في تطرقه لموضوع ضمن الدراسات والمقاربات (العابرة/المتعددة) التخصصات، التي تنأى عن "وهم" التخصص الضيق. والثاني في تقديمه للإطار العام لحقل السوسيولوجيا التاريخية، منطلقاً من البدايات الأولى التي قَعَدت لهذا الحقل التخصصي، مروراً بالمسارات التي قطعها حتى اليوم، موضحاً أطروحات كبار المتخصصين في حقل التاريخ والسوسيولوجيا في قضية الانفتاح على مقاربات بعضهم، ثم إبرازه لأهم الأعمال البحثية للمتخصصين في السوسيولوجيا التاريخية المقارنة، مع كلٍّ من بارينغتون مور Barrington Moore، ونشارلز تلي Charles Tilly، وتيدا سكوكبول Theda Skocpol...، وصولاً إلى تأكيده على العلاقة الحالية أو الحوار الحالي بين الحقلين الذي بدأ يتقوَّى ويتكثَّف بشكلٍ ملحوظٍ.

### مقدمة:

إن العلاقة بين السوسيولوجيا والتاريخ هي علاقةً مركّبةً وغير متناغمة، ولها جوانبٌ تجعلها صعبةً، مما يؤدي إلى عدم اليقين النظري والمنهجي في أثناء خلق مواضيع «خلافية». فبينما السوسيولوجيا التاريخية هي حقلٌ معرفيٌّ مستقلٌّ عند بعض الباحثين، يعتقد آخرون أنه من الصعب التمييز بين السوسيولوجيا والتاريخ، فالصلة بين حقلَي التاريخ والسوسيولوجيا محدودةٌ بشكلٍ ملحوظٍ. ومن مؤشرات هذه المحدودية قلةُ المجهودات المكرّسة لهذا الموضوع من قبل هذين الحقلين المعرفيين داخل الجامعات. وبالرغم من بعض التوقعات المتعلقة بدمج التخصصين، يظلُّ التواصل بين ممارسي هذين الحقلين - في كثيرٍ من الأحيان - قائماً على التجاهل المتبادل، والتحامل، والانحياز، يصل إلى حدِّ التطرف في الآراء. بدايةً، يجب القول إننا سنتعامل مع العلاقة المعقّدة بين التاريخ والسوسيولوجيا، من مقاربةٍ يجب أن تكون - بالضرورة بناءً على الطبيعة الموضوعاتية للعلاقة المركّبة بين السوسيولوجيا والتاريخ - انتقائيةً، ومقيّدةً بالمنظور السوسيولوجي. وعلى الأرجح، لو أن هذه الورقة نفسها كُتبت من طرف مؤرخٍ، فسيؤكّد على قضايا أخرى. ومن المؤكّد أن بعض القضايا تتباين حولها الآراء، والشيء نفسه بخصوص إيلاء أهمية لمواضيع على حساب أخرى.

### حوار الصُّم؟

منذ البدايات الأولى لحقل السوسيولوجيا، سعى مؤسسوها إلى البحث عن موضوعها الرئيس. ومع ذلك، فقد هذا السؤال أهميته وإلحاحه تدريجياً مع الأجيال اللاحقة من الباحثين في السوسيولوجيا. لكنه لم يختفِ نهائياً؛ بل بالعكس، عاد هذا السؤال في بعض النقاشات المعاصرة ضمن السياق المهني. والدليل على هذا هو الجدل الرائج بين السوسيولوجيا والتاريخ.

في كتاب (Central Problems in Social Theory, 1979: 230)، دافع الباحث أنطوني غدنز عن مسألة أنه لا توجد أسبابٌ منطقية أو منهجية للتمييز بين العلوم الاجتماعية والتاريخ. وعزّز هذا الزعم بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ من لدن ممثل السوسيولوجيا التاريخية البريطانية فيليب أبرمز (Philip Abrams, 1981: 2)، الذي صاغ الحجّة القائلة بأن التاريخ والسوسيولوجيا كانا دائماً الشيء نفسه. حاول أنطوني غدنز أن يحتاج مرةً أخرى في أهم أعماله النظرية بخصوص هذا الطرح (The Constitution of Society 1984, 1988)، الذي ينصُّ على أنه لا يوجد شيء من شأنه أن يثبت الفرق بين العلوم التاريخية والاجتماعية بما فيه الكفاية. فالأبحاث التاريخية هي أبحاثٌ في العلوم



الاجتماعية، والعكس صحيح (Giddens, 1988: 416). وبالتالي إذا كانت هناك حدودٌ بينهما، فهي قائمةٌ فقط على مبدأ تقسيم العمل على المواضيع المشتركة، بدلاً من أي انقسامٍ منهجيٍّ أو منطقيٍّ.

وسواء قُبلت أطروحات غدنز أم لا، تظلُّ الحقيقة هي أن السوسيولوجيين والمؤرخين لا يتكلمون اللغة نفسها. يذكر بيتر بورك (Peter Burke, 1989: 10) في هذا السياق بيانَ فيرناند بروديل عن «حوار الصم». فمن وجهة نظر بيتر بورك (ibid.: 11)، أن المشكلة لا تتطلب رؤية مهنتين مختلفتين فقط، بل تتطلب بنياتٍ بلغاتٍ مختلفة، قيماً وطرق تفكير، تشكَّلت من الاختلافات في المرجعية المعرفية وكذا التدريبية: للسوسيولوجيين الأرقام، وللمؤرخين الكلمات؛ يعترف السوسيولوجيون بالقواعد ويتجاهلون التباينات، بينما المؤرخون يهتمون بالفرد وبالخاصة.

يعتقد بيتر بورك (1989: 9-10) أن كلاً من التاريخ والسوسيولوجيا مهددٌ بتضييقٍ خطيرٍ للمنظور. فالمؤرخون يميلون إلى التخصص في مسألة معينة وإدراكها بوصفها شيئاً فريداً من نوعه، مما يعيق رؤيتهم لها بوصفها تركيباً للعناصر المتوازية في أماكن أخرى. على العكس من ذلك، لدى السوسيولوجيين ميلٌ إلى تعميم كل شيء عن طريق عين التجربة المعاصرة وتجاهل منظور العمليات التاريخية الطويلة الأمد والتغيرات الاجتماعية. كما أن العلاقة بين التخصصين تشوبها مجموعة من الخرافات والتصورات النمطية: فالمؤرخون كانوا ينظرون للسوسيولوجيين بوصفهم مجموعة من الناس الذين لديهم لغتهم المفاهيمية المجردة التي لا تكثرث للخصوصيات المكانية والزمانية. في حين كان يُنظر إلى المؤرخين بوصفهم مُجمَّعين للمعطيات والمعلومات دون القدرة على قراءتها وتحليلها بنوعٍ من الدقة والعمق.

بينما يؤمن كثيرٌ من الباحثين الاجتماعيين بأن الحدود التي تفرق السوسيولوجيا والتاريخ يجب تجاوزها، هناك من يعارض هذا الطرح بقوة. من بينهم جون غولدتورب John H. Goldthorpe، الذي نشر سنة 1991 مقالةً في الموضوع ذاته أثارت ردَّ فعلٍ قوياً. ومن الضروري أن نشير إلى أن الباحث غولدتورب قد دَرَسَ حقل التاريخ سنة 1950 بجامعة لندن. وقد قارن المقاربات البحثية لكلٍّ من التاريخ والسوسيولوجيا، ويدَّعي أنهما مختلفان ليس فقط في التوجهات، وإنما تجاه الماضي والحاضر أيضاً، فالمؤرخون يؤكِّدون على نتائجهم كمواقع زمانية-مكانية، في حين أن السوسيولوجيين يعتقدون أن فهمهم يتجاوز إحداثيات الزمان والمكان. كما يصبُّ الباحث غولدتورب غضبه على زملائه الذين دخلوا مبتهجين في كتابة ما يسميه ساخراً: «علم الاجتماع التاريخي الكبير»، المفاهيم الاجتماعية للتاريخ.

## ترجمات | التاريخ والسوسولوجيا: ماهي السوسولوجيا التاريخية؟

بدأ غولدتورب (1991: 212) بتذكُّر الفترة التي كان فيها طالبًا في حقل التاريخ، وقد تبنَّى حينها مقياسًا منهجيًا، يشبه «التعليم الكنسي» من حيث الأساليب، بدءًا من سؤال: ما هي الحقيقة التاريخية؟ واستمرَّ في الإجابة: الحقيقة التاريخية هي ما يُستنتج من الآثار (الحقيقة التاريخية هي ما يُستدل عليه من بقايا الماضي «آثار»). يعيد الباحث تأكيد أطروحة أن الماضي يُحدَّد فقط من خلال الشكل الذي نجا منه ماديًا. وقد تختلف هذه البقايا المادية، كأن تكون أشياءً طبيعيةً (عظامًا) أو مصنوعاتٍ (أدوات، وأسلحة، وبنيات، وأعمالاً فنية) أو كما هو معتاد وثائق مكتوبة (لأغراضٍ تواصلية).

بخصوص مسألة «الآثار»، يشير غولدتورب إلى أن عددها - في حال تعلَّق الأمر بزمانٍ معيَّن - محدودٌ وغير مكتملٍ (عددها ينخفض بفعل التدمير، لكنه لا يمكن أن ينمو). ما يعمل عليه المؤرخون هو اكتشاف الآثار الجديدة غير المكتشفة وإضافتها لما هو معروف سلفًا، لتكون بمثابة خزان أدلة لصياغة الأطروحات. ومقارنةً بالسوسولوجيا، يدَّعي الباحث أن لها امتيازًا كبيرًا واحدًا، يتجلَّى في كونها لا تعتمد كليًا على «الآثار»، بل تستطيع إنتاج بياناتٍ بنفسها وإحداث الأدلة الخاصة بها. فالبحث الميداني ينتج موادَّ لم تكن موجودةً سلفًا. لذلك فالسوسولوجيا - مع التقدير للتاريخ - تتوقَّر على وضع أفضل بكثير، لكنها تفتقد الدقَّة والعناية في التعامل مع المصادر التي تميِّز عمل المؤرخين. وحسب غولدتورب، فإن هذا يتضح بشكلٍ ملحوظٍ في الأعمال التي قُدِّمت في مجال علم الاجتماع التاريخي. وفي هذا السياق، يخصُّ الباحث (ibid.: 222-223) اثنين من ممثلي هذا المجال، وهما: بارينتون مور Barrington Moore، وتيدا سكوكبول Theda Skocpol.

وجد غولدتورب مشاكلَ منهجيةً في الأعمال التي تعمَّم المنظور السوسولوجي على السيرورات التاريخية. ويشير إلى أن تحليل المصادر الثانوية يصبح مصدر نتائج السوسولوجيين التاريخيين بدلًا من استكشاف المصادر الأصلية (الآثار)؛ حيث يستخلصون معلوماتهم من الأدبيات التي كتبها المؤرخون، مما يؤدي بهم إلى تأويلاتٍ عكسية. فالباحث غولدتورب لا يضع في الحسبان تعامل السوسولوجيين التاريخيين مع المصادر التي تطرَّق لها المؤرخون بجهدٍ كبيرٍ وبحذرٍ وبعلميةٍ دقيقةٍ كافيةٍ. كما يشير إلى الاعتماد الانتقائي - بالنسبة إلى السوسولوجيين - على مجموعةٍ من المراجع والأدبيات التاريخية لدعم المفاهيم والنظريات التي يوظفونها. ويعتقد أنه ينبغي على السوسولوجيين أن يتعاملوا مع الماضي في حالة الضرورة بالنظر إلى طبيعة الحقائق التاريخية موضوع الدراسة، وفي هذا السياق ينبغي عليهم التعامل مع المصادر الأصلية بوصفهم مؤرخين. ويخلص غولدتورب إلى تعريف التاريخ والسوسولوجيا بوصفهما مجالين معرفيين مختلفين (ibid.: 225). إذ لا يعتقد أن السوسولوجيين يستطيعون إنتاج نظرية عامَّة ذات صبغة عابرة للمعرفة التاريخية





Transhistorical. ويضيف أن القول بكون السوسولوجيا والتاريخ مجالاً معرفياً واحداً هو طرحٌ خاطئٌ وإشكاليٌّ، ويحثُّ السوسولوجيين على الكفِّ عن الإفراط في البحث في مجال التاريخ.

استفزَّ طرح الباحث غولدتورب عدداً من ردود الفعل الجدلية، نُشر بعضها في المجلة السوسولوجية البريطانية سنة 1994. فالباحث ميشال مان (Michael Mann 1994: 37) يختلف مع طرح غولدتورب القائل بأنَّ السوسولوجيا ينبغي لها أن تهتمَّ بالمجتمعات المعاصرة فقط؛ فالسوسولوجيا - بالنسبة إليه - علمٌ يدرس المجتمعات بشكل شامل، بغضِّ النظر عن مدَّة تواجدها. ويرفض جوزيف براينت (Joseph M. Bryant 1994: 13-14) فكرة أن السوسولوجيا التاريخية هي بنية ثانوية تفتقر إلى الأساس التجريبي الرصين، ويؤكِّد أن عمل المؤرخين والسوسولوجيين له مكونان اثنان: الأول هو التحقيق، والثاني هو التفسير. أمَّا التحقيق فيحيل إلى جمع البيانات والمعطيات المتوفرة، وأمَّا التفسير فيحاول إيجاد المعاني والدلالات في المعطيات. وبالتالي لا تتعلَّق الصلة والقيمة بالبيانات فقط، بل أيضاً بالانسجام الداخلي وقوة التفسير الخاصَّة بها أيضاً. ويضيف نيكوس موزليس Nicos Mouzelis (1994: 35) أن جلَّ المؤرخين الذين قدَّموا أعمالاً تركيبية جيدة عملوا أساساً على المادة الثانوية التي استخدمها السوسولوجيون التاريخيون، مما عرضهم للمشكلات المنهجية نفسها.

بعد سنواتٍ قليلة، أعادت الباحثة النمساوية جيرترود هورك Gertraude Mikl-Horke (1999) النقاش بالاشتباك مع طرح غولدتورب؛ إذ اعتبرت أن مطلبه بتخلي السوسولوجيا عن المشاركة في حقل التاريخ هو أمرٌ مبالغ فيه، وتقول إنه يتجاهل أن كلَّ حقيقة اجتماعية لها طبيعة تاريخية، وأن جميع البيانات الاجتماعية ستصبح في النهاية جزءاً من التاريخ. كما يشير الباحث مايك هورك Mikl-Horke (ibid.:11) إلى أنه في المستوى الإمبريقي، تتقارب كلُّ من المناهج التاريخية ومناهج العلوم الاجتماعية، إلَّا أن غولدتورب لا يأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار؛ فالمناهج التفسيرية والتأويلية والنقدية للمصادر، والتحليل الرياضي والمناهج الإحصائية هي بالقدر نفسه مناهجٌ للسوسولوجيا كما للتاريخ. فالكاتب أحال إلى مرجع جون دروسن J.G. Drosen الذي يعتبر أن البحث التاريخي لا يعتمد فقط على «الآثار» واللقى المتوفرة، وما يصنعه الإنسان (الأشياء المادية) والوثائق؛ بل على التقاليد (أنماط الفكر والسلوك) أيضاً. وهكذا تجاهل غولدتورب التاريخ الثقافي؛ كتاريخ الذهنيات، وطُرق التفكير، والحياة اليومية، والذاكرة الجماعية.

جزء من الماضي هو جزء من الحاضر، هذا المعطى يتدخَّل - سواء على مستوى التوجيه، أو عبر (المؤسسات والبنى) - كإطار موجِّه. استيحاءً من المناقشات السابقة، حاول مايك هورك

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

(ibid.:22) تعريف بعض الشروط التي ينبغي على السوسيولوجيا التاريخية احترامها في ملاحظاتها. هذا يتضمّن: الفهم النظري بوصفه وسيلةً وليس غايةً، احترامًا وليس عدم نقدٍ لنتائج العلوم التاريخية؛ والعمل بالمصادر إن أمكن، والحذر التفسيري بخصوص التعميم والعوامل البنيوية، وفهم الحاضر باعتباره أمرًا يعتمدُ على التاريخ.

في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، ادّعى فيليب أبرمز (Philip Abrams 1981: 300) بتفاوتٍ أنه خلال العقدين الماضيين، نُشرت أعمالٌ نظرية وثوقية بخصوص فكرة أن السوسيولوجيا كان يجب عليها أن تكون نظريةً في مقابل أن يكون التاريخ وصفيًا، وهو ما كان من المفارقات التاريخية. فكلّما أصبح البُعد النظري للعلوم التاريخية أعمق، كان واضحًا بجلاءٍ أن افتراض المؤرخين المتخصّصين باستبعاد الجانب النظري من حقلهم أمرًا غير مبرّر. ومع ذلك، ورغم حدوث بعض التقارب في السنوات الأخيرة بين السوسيولوجيا والتاريخ، بفضل السوسيولوجيا التاريخية، فإنه لا يمكن التغاضي عن حقيقة أن التواصل والتعاون بين الحقلين ما يزال مرّكبًا وغير معمّق. فالسوسيولوجيون لهم وجهات نظر خاصّة حول التاريخ، والمؤرخون يسبرون مساهم مع بعض المفاهيم السوسيولوجية الأساسية. وفي هذا السياق، تكمّن أهمية بحث غولدتورب (1991) الذي أثار النقاش بين الحقلين والاستفزاز بينهما. كما لا يمكن أن ننكر مسألة اختلاف المنهج بين المؤرخين والسوسيولوجيين التاريخيين، وهذا لا يعني أن السوسيولوجيا ينبغي لها أن تكون مجالًا نظريًا بينما تظلّ مهمّة التاريخ هي التركيز على جمع الحقائق ووصفها.

على الرغم من الجهود التي بذلها غولدتورب لفرض خطّ فاصلٍ بين السوسيولوجيا والتاريخ، فإن طرحه إشكاليّ، حيث بُرّر نقده للسوسيولوجيا التاريخية إلى حدّ ما. كما يمكن استخلاص درسٍ مفاده أن السوسيولوجيا لا يمكن لها أن تتعامل مع التاريخ من منظوراتها الخاصّة فقط وتتجاهل الإجراءات المنهجية والأعراف المميزة للعلوم التاريخية. وسيكون من الخطأ عدم اهتمام السوسيولوجيين التاريخيين بالنقاشات المنهجية بخصوص تفسير المصادر التاريخية، والاقتصار فقط على استعمال الأدب التاريخي بوصفه منجمًا للمادة الخام التي من خلالها تُنتج أعمالهم. علاوة على ذلك، يجب التذكير بأن السوسيولوجيا التاريخية اليوم تُقدّم بوصفها حقلًا «مغربيًا» لإنتاج المفاهيم التي قد تكون خطيرةً وقريةً مما قاله كارل بوبر (Karl R. Popper (2000) الذي وصفها باستخفافٍ بالتاريخانية (التي تفترض أن التطور التاريخي معطى قبليّ، ومُلزم لقوانين التاريخ الكونية التي من خلالها قد نتبأ بالمستقبل). من الواضح أن مقارنة التاريخ تحتاج إلى النظرية، وبالتالي فالمسألة ليست في النظرية أولًا، بل في مدى ملاءمة هذه النظريات.



## ◀ فيما يخص التقارب والتباعد:

لفهم جيدٍ لمصادر الآراء المعاصرة تجاه العلاقة بين التاريخ والسوسيولوجيا، ينبغي استحضار تاريخ هذا المسألة المركّبة. ونظرًا لكون شكل المقالة النموذجية لا يسمح باستكشافٍ أعمقٍ للموضوع، نقترح أن نحصر أنفسنا ضمن التطورات العامّة له.

يمكن دعم هذا الطرح من خلال عمل بيتر بورك Peter Burke (1989: 34-12) الذي نَقَّب في القرن الثامن عشر، حيث استحضر الفترة التي كان فيها المنظرّون الاجتماعيون أمثال: شارل مونتسكيو Charles Montesquieu (1689-1755)، وآدم فرغسون Adam Ferguson (1723-1816)، وجون ميلار John Millar (1753-1801)، الذين قدّموا مساهماتٍ مهمّةً في كلا الحقلين، سواء التاريخ أو تاريخ ما قبل الفكر السوسيولوجي Pre-Sociological Thinking. في تلك الفترة، لم تكن هناك مشكلة بالنسبة إلى التاريخ السياسي، والتاريخ الاجتماعي، والتفكير ما قبل السوسيولوجي - في التعايش والتداخل فيما بينها، كما يظهر جليًا في أعمال كلٍّ من المؤرخ البريطاني إدوارد غيبون Edward Gibbon (1737-1794)، والمؤرخ الفرنسي جيل ميشلي Jules Michelet (1798-1874).

ومع ذلك، كانت هناك تقسيمات واضحة منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأت المقاربة التي دعا إليها المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكه Leopold Von Ranke (1795-1886) في الهيمنة. ففي رأيه، ينبغي على العلوم التاريخية أن تُقَعَّد بالبحوث المنهجية والنقدية للمصادر التي تهدف إلى إظهار الماضي كما كان «في الواقع» (Wirsing 2007: 369) [zu zeigen, wie es eigentlich gewesen]. إن الإسطوغرافيا التي يتبنّاها المؤرخ رانكه Ranke موجهةٌ للتاريخ السياسي الذي يمكن دراسته انطلاقًا من الوثائق الرسمية. ودُعِم هذا النزوع من خلال إضفاء الطابع التخصصي على التاريخ، حيث بدأت تظهر أولى المعاهد والدوريات العلمية. وفي غضون ذلك، دعمت الحكومات ماليًا كتابة التاريخ الذي يمكن أن يوظّف وسيلةً للدعاية لصالح الدولة لدى المواطنين. وفي هذا السياق، اعتُبرت أعمال المؤرخين الاجتماعيين والثقافيين منجزاتٍ غير منظّمة وغير علمية بشكلٍ كافٍ باعتبارها غير متوافقة مع المعايير المهنية الجديدة.

كذلك كان مصير جاكوب كريستوف بيغكارد Jacob Christoph Burckhardt (1818-1897)، الذي لم ينجح عمله المسمّى (The Civilization of The Renaissance in Italy) سنة 1860، ولم يُعترف به منجزًا مهمًا إلا بعد وقتٍ طويلٍ. إلا أنه حدث استثناء معيّن في فرنسا مع المؤرخ (وأستاذ إيميل

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

دوركهيلم) نيما دونيس فيستيل كولنج Numa Denis Fustel de Coulanges (1830-1889)، الذي حظي كتابه عن المدينة القديمة La Cité antique سنة 1964، بالتقدير رغم جمعه بين المنظور التاريخي والسوسيولوجي. وعلى النقيض من هذا، واجه المؤرخ الألماني كارل لمبريشط Karl Lamprecht (1856-1915) انتقادات قاسية وسوء فهم، عندما كان ضد الفرضية السائدة التي تعتقد أن الرجال العظماء هم من يصنعون التاريخ (Heinrich von Treitschke)، كما حاول بناء تاريخ اجتماعي واقتصادي وثقافي. (Wiersing, 2007: 474 - 477).

منذ القرن التاسع عشر، ارتدَّ العديد من المؤرخين عن السوسيولوجيا؛ لأنها تبدو أكثر مجرداً وغير قادرة على اكتشاف تفرُّد أحداثٍ معينة. على المستوى النظري والمنهجي، تطرق للموضوع فلاسفة ألمان مثل: ويلهيلم دلتاي (Wilhelm Dilthey 1833-1911)، وويلهيلم ويندلباند Wilhelm Windelband (1848-1915)، وآخرين (Käsler, 1978: 142-162). وقد أكد دلتاي Dilthey على الفرق بين العلوم الطبيعية التي تسعى إلى التفسير من الخارج، والعلوم الإنسانية التي تهدف إلى الفهم من الداخل.

وصفت الباحثة ويندلباند Windelband العلوم الطبيعية بـ"Nomothetic" أي تهدف لاكتشاف القوانين العامة، بينما نعتت العلوم الإنسانية بـ"idiographic" أي تصف الجماعات ككيانات تتميز عن بعضها، وتصف الأحداث الفردية والفريدة. استخدم العديد من السوسيولوجيين الحدود بين Idiographic و Nomothetic لتوضيح الفرق بين التاريخ الذي يوجّه تفكيره بشكلٍ خاصٍّ لما هو وصفي، والسوسيولوجيا التي تعمل للحصول على التعميمات. وبالنسبة إلى المؤرخين، فالسوسيولوجيا علم زائف يستخدم طرقاً للتفسير في الطبيعة بدلاً من التاريخ البشري.

في نهاية القرن التاسع عشر، حُفِز هذا الخلاف في الأفكار بسبب الخلافات في الاقتصاد المعروفة باسم Methodenstreit (نزاع على المناهج) بين المدرسة النمساوية (كارل مينجر Carl Meenger) والمدرسة التاريخية الألمانية (كوستاف شمولر Gustav Schmoller، وويلهيلم روشر Wilhelm Roscher) وأيضاً (وينر سومبارت Wener Sombart، وماكس فيبر Max Weber). وقع هذا الجدل على ثلاث مستويات، وتعلّق باستخدام المناهج/الأساليب الاستنتاجية والاستقرائية، والقوانين الدقيقة والتجريبية، والفردية المنهجية والجماعية (Louzek, 2001).

لم تكن السوسيولوجيا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مهتمّةً بالحاضر فقط، وإنما بالماضي أيضاً. فقد انعكس البُعد التاريخي على هذه الحقبة من قبل مجموعة من الباحثين، من أهمهم:



أوغست كونط Auguste Comte ، وهيربرت سبنسر Herbert Spencer ، وكارل ماركس Karl Marx ، وإميل دوركايم Emile Durkheim ، وماكس فيبر Max Weber ، وجورج سيميل Georg Simmel ، وفيرفريدو باريطو Vilfredo Parito وآخرون، على أساس أن التاريخ كان جزءاً لا يتجزأ من مفاهيمهم السوسيولوجية (في حالة فيبر، كان الارتباط بالتاريخ قوياً، لدرجة يمكن معها القول إن السوسيولوجيا تخضع للتاريخ). فبين العديد من السوسيولوجيين في تلك الفترة، كان الإيمان بالنظرية التقدمية لا يزال مهيماً، وبالمفاهيم التي تعتبر أن التاريخ لم يكن مجرد تسلسل عشوائي للأحداث، ولكن بإمكانه الكشف عن قوانين التطور التاريخي (كارل. ر. بوبر Karl R. Popper ينتقد هذا لاحقاً باسم التاريخانية «Historicism»). فقد كان مطمح العديد من المفاهيم السوسيولوجية للتاريخ أن تكون جوهرية وأن تسير جنباً إلى جنب مع المواقف الراضة للاتجاه التاريخي التقليدي، الذي بدأ مزيئاً بتفاصيل غير ضرورية، ومنظماً بطريقة غير صحيحة؛ فإذا كان التاريخ قد منح بعض المعنى، فرمما كان كمصدر للمواد من أجل الدراسات السوسيولوجية المقارنة فقط (Burk, 1989).

في حين أن عدداً قليلاً من المؤرخين في البلدان الناطقة باللغة الألمانية في مطلع القرن التاسع عشر والقرن العشرين تجرأوا على الانحراف عن إطار رانكه Ranke (محاولة كارل لمبرخط<sup>(1)</sup> Karl Lamprecht لم تتلق الفهم آنذاك)، وفي بلدان أخرى بدأ المؤرخون بشكل تدريجي في الظهور، مما ساهم في تنمية التاريخ الاجتماعي.

في الولايات المتحدة الأمريكية، قام فريدريك جاكسون تورنر (Fredrick Jackson Turner, 1861-1932) بدور مهم، حيث حاول شرح موقف أمريكا الفريد من نوعه من حيث الحدود التي ليست بين الدول، وإنما بين «الحضارة» و«البرية/الصحراء». كما أكد جامس هارفي روبنسون (James Harvey Robenson, 1863-1936) على التنمية الاجتماعية والعلمية الفكرية ضد التاريخ السياسي. بحيث قام شارلز أوستين بريد (Charles Austin Bred, 1874-1948) بتفسير الحرب الأهلية الأمريكية - متأثراً بماركس - على أنها صراع بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي.

في التجربة الفرنسية، بدأت مدرسة تاريخية جديدة من قبل سيمياد فرانسواز (Simiad Francois, 1873-1935) الذي انتقد مسألة اختصار التاريخ في الأحداث التاريخية والشخصيات العظيمة. وطور

(1) مؤرخ ألماني درس التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الألماني والأوروبي في القرون الوسطى، وقد أثار جدلاً كبيراً بمنهجه المتعددة التخصصات من خلال تركيزه الواسع على المسائل الاجتماعية والبيئية والنفسية في التاريخ من خلال اعتباره أن هذا الأخير يعني الكشف عن السوسيولوجيا بوصفها أحداثاً سياسية. (المترجمان).

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

البلجيكي هنري بيغين (Henri Pirenne, 1862-1936) التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لأوروبا. كما قدّمت أعمال الباحث الهولندي جوهان هويزينكا (Johan Huizinga 1872-1945) المكرّسة للعصور الوسطى مساهمةً كبيرةً في التاريخ الثقافي.

فقد أثرت الطبيعة التخمينية لنظريات التنمية الاجتماعية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أثرت بشكل مباشر في حقيقة أنه في تطوّر الفكر السوسيولوجي كان هناك تحولٌ ملحوظٌ في دراسة الديناميات الاجتماعية الطويلة الأمد (وإن لم تكن بشكلٍ عامٍّ، فقد كانت هناك استثناءاتٌ، مثل بيتريم.أ. سوركين (Pitrim.A.Sorokin).

فما كان سائدًا في السوسيولوجيا هو نزعة تكوين نماذج للدول الحديثة، والتركيز على تحليل المعطيات التي تثبت الحاضر (عرّف نوربير إلياس Norbert Elias لاحقًا هذا الاتجاه بأنه «تحديث السوسيولوجيا نحو الحاضر retreat of sociology to the present»). وكان المصدر الرئيس لمثل هذه المعطيات هو الإحصائيات الرسمية. ولكن بدأ علماء الاجتماع الآن - ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية - بتطوير مناهجهم الخاصّة في البحث التجريبي، (Lazarsfeld, Gollup, Chicago school) وآخرون، في خضمّ الاحتراف المتنامي للسوسيولوجيا الذي أمدها بالثقة لكي تنمو بعيدًا عن التاريخ. فالعلوم التاريخية لم تعد ذات صلة وثيقة بالسوسيولوجيا، ولم تعد نتائجها مقبولةً بوصفها «مادة خامًا» للتحليل السوسيولوجي.

غير أنه إلى حدود العشرينيات من القرن الماضي، كان هناك تحولٌ في اتجاه التاريخ، ارتبط بانطلاق مدرسة الحوليات Annales school (مع مجلة الحوليات «التاريخ الاقتصادي والاجتماعي») التي بدأها أستاذان في جامعة ستارسبورغ، هما: لوسيان فيفر (Lucien Febver, 1878-1956) ومارك بلوك (Marc Bloch, 1886-1944)، بحيث رفضوا الهيمنة التقليدية للتاريخ السياسي، وحاولوا إيجاد دراسة واسعة النطاق للتاريخ، مستلهمين ذلك من تخصصاتٍ مجاورة، ومتأثرين بالسوسيولوجية الدوركايمة، وأيضًا بالنظرية البنيوية. بينما في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، لم تمثّل مدرسة الحوليات سوى تيار هامشيٍّ لتعود بعد سنة 1945 وتصبح من بين أهم المدارس المؤثرة في تلك الفترة. وقد تطور الجيل الثاني من المدرسة، بحيث شارك فرناند بروديل Fernad Braudel بأهم كتابٍ له بعنوان: (la méditerranée et le monde méditerranéen) (à l'époque de Philippe II 1949). أما بالنسبة إلى الجيل الثالث، فقد كانوا مجموعة متنوّعة من المؤرخين (يمثلون ما يُسمّى بالتاريخ الجديد الذي يتميّز بالاهتمام الاستثنائي بتاريخ الحياة





اليومية) من بينهم: جورج دوبي Goerges Duby ، وجاك لو غوف Jacques le Goff، وإيمانويل لوجوي لاديغي Emmanuel Le Roy Ladurie، وفيليب آريس philippe Ariés، ومونا أزوف Mona Ozouf، وفرنسواز فيرات Françoise Furet، وآخرون.

على الرغم من الاختلاف بين التاريخ والسوسيولوجيا خلال القرن العشرين، فإن انفصالهما التام لم يحدث أبدًا بسبب التوجُّه البحثي المسمَّى: «السوسيولوجيا التاريخية» (في الأدبيات الأمريكية يُسمَّى «السوسيولوجيا التاريخية المقارنة»)، ومن المؤلفين المعاصرين الذين يؤيدونه نجد دونيس سميت (Dennis smith, 2006: 191)، ويعتبرونه انضباطًا مع أسلافهم (هيوم Hume، وسميث Smith، وفيرغسون Ferguson، ومونتيسكيو Montesquieu، وطوكفيل Tocqueville)، الذين وجدوه استمرارًا في عمل مؤسسي الفكر الاجتماعي (دور كايم Durkheim، وماركس Marx، وفير Weber). ويدرج الباحث الألماني راينر سيتزيشل Rainer Schützeichel ما يُسمَّى بـ «مدرسة فيمار Weimar School» (ألفريد فيبر Alfred Weber، ووينر سومبارت Wener Sombart، وألفريد فون مارتين Alfred von Martin، وإدوارد هيومان Eduard Heimann، وفرانز أوبنهايمر Franz Oppenheimer، وإيميل ليدرر Emil Lederer، وكارل بولاني Karl Polanyi، وهانس فراير Hans Freyer، وأدولف لوف Adolf löwe) في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين. بالإضافة إلى باحثين آخرين، مثل كارل مانهايم Karl Mannheim الذي طبَّق المنظور التاريخي في المعرفة السوسيولوجية.

في الولايات المتحدة الأمريكية، ألهم ماكس فيبر الباحث روبرت ميرتون Robert K. Merton، حيث كشف من خلال دراسته Science, Technology and Society in Seventeenth Century England (1938) (1970) «عن تأثير الاتجاه الإنجليزي «المحافظ» Puritanism في تطوُّر العلوم الطبيعية. وقد نشر بيتريم سوكين Pitirim A. Sorokin بين سنتي 1937-1941 دراسةً بعنوان: Social and Cultural Dynamics»؛ وفي سنة 1941 نشر جورج أومانس George C. Homans دراسةً حول القرويين الإنجليز في القرن الثالث عشر. وبالتالي فإن كل هذه الأعمال مهمّة، حيث سار فيها الباحثون ضد التيار الذي كان سائدًا في علم الاجتماع الأمريكي آنذاك.

ففي تلك الفترة، أيّد الأمريكي رينارد بينديكس Reinhard Bendix (1960) ماكس فيبر ومنظوره السوسيو-تاريخي، فمن أشهر أعمال بينديكس: بناء الأمة والمواطنة (Nation-building and citizenship: 1996, 1964)، حيث ركّز فيه على السيرورات التاريخية لتنمية العلاقات بين الدولة ومواطنيها في بناء الأمة، في كلِّ من أوروبا الغربية وروسيا واليابان والهند، ليخلص إلى أن أنواعًا

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

مختلفة من المجتمعات يمكن أن تستجيب لمشاكل مماثلة ولكن بطرق مختلفة. فكلُّ ثقافة وطنية هي نتيجة لصراع من الماضي الذي تشكَّل من قِبَل النُخب التي لديها قيادة تبادلية.

هناك نقطة إيجابية أخرى للتقارب بين السوسيولوجيا والتاريخ تعود للباحثين بدءًا من الوظيفة البنيوية مع بارسونز Parsons. وفي سنة 1957، نشر روبرت نيلي بيلا Robert Neely Bellah كتابًا بعنوان: (Tokugawa Religion)، محاولاً فيه الكشف عن النظرير الياباني للأخلاق البروتستنتية. وفي كتاب لنييل سملسر Neil Smelser حول التغيُّر الاجتماعي في الثورة الصناعية (1959)، ركَّز على مشكلة التغيُّر الاجتماعي على أساس تطوُّر صناعة القطن خلال الثورة الصناعية الإنجليزية. والاهتمام بالمنظور التاريخي يمكن إيجاده أيضًا في كتاب سيمون مارتين لبسيت Seymour Martin Lipset (1963 The First New Nation). وفي الستينيات، طوَّر بارسونز نظرية التطوُّر الاجتماعي بناءً على مفهوم القدرة التكيفية المتزايدة للنظام من خلال الاختلاف الوظيفي، في مجموعة من المنشورات من بينها: «المجتمعات: المنظور المقارن والتطوري»، وأيضًا «نظام المجتمعات الحديثة».

في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، كان هناك تقدير واعتراف واسع جُمع في مجلدين باللغة الألمانية 1976 Prozeß der Zivilisation (Über den) حول سيرورة الحضارة من قِبَل نوربرت إلياس Norbert Elias في الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، بحيث كان الغرض منه هو تقديم النتائج التي توصل إليها ببحثه السوسيوجينيتيك "sociogenetic" والبسيكوجينيتيك «psychogenetic»، الذي أسفر عن نظريتين متصلتين هما: نظرية الحضارة، ونظرية تشكيل الدولة. وبعد ذلك، نشر كتبًا أخرى تتضمن أدبيات ثانوية غنية.

من منظور السوسيولوجيا التاريخية، فإن مقاربات نوربرت إلياس تكملها دراسات ميشيل فوكو Michel Foucault التي تركَّز على التغيرات التاريخية للمعرفة والسلطة والعلاقة بينهما (1999, 2000). ويقال أحيانًا إن «فوكو الألماني» هو المؤرخ رينهارد كوسيلك Reinhart Koselleck<sup>(2)</sup>، الذي تعامل مع تاريخ المفاهيم (2006) (Begriffsgeschichte)، والذي أشرف كرئيس تحرير على إنشاء العمل البارز المؤلَّف من ثماني مجلدات (1972-1997) (Geschichtliche Grundbegriffe). كما عمل المؤرخ البريطاني بيتر بورك Peter Burke (1989, 2007) أيضًا في هذه الفترة على الحدود بين التاريخ الثقافي

(٢) مؤرخ ألماني يُعدُّ من أهم المؤرخين في القرن العشرين، شغل منصبًا مهمًا في التاريخ، وقدَّم مساهماتٍ مهمةً في التاريخ المفاهيمي والإبستمولوجيا التاريخية واللغويات، وأسس الأنثروبولوجيا التاريخية والتاريخ الاجتماعي، بالإضافة إلى التاريخ القانوني. (المترجمان).





وسوسيولوجيا المعرفة. وفي هذا السياق، يمكن أن ندرج أيضًا أعمال إرنست غيلنر Ernest Gellner في هذا المجال، وخاصةً أعماله التي ركّز فيها على موضوع الوطنية ((1993, 2002، بالإضافة إلى المسائل العامّة حول بنية التاريخ الإنساني (Plough, Sword and Book, 2001). وبالتالي، فالكتب التي عرضناها سابقًا تتميز بطابعٍ عابرٍ للتخصّصات، متجاوزةً بذلك الحدود الضيقة بين التخصصات التي تمكّن حتمًا من الحصول على معرفةٍ جديدة. وبذلك أضحت المقاربة العابرة للتخصّصات علامةً بارزةً للسوسيولوجيا التاريخية المعاصرة.

### السوسيولوجيا التاريخية المقارنة المعاصرة:

إن تطوّر السوسيولوجيا التاريخية المقارنة المعاصرة يعود إلى الدور المهمّ للتوجّه اليساري لبارنغتون مور Barrington Moore (1913-2005) الذي عمل خبيرًا في التاريخ الروسي الحديث في جامعة هارفارد، وله العديد من الكتابات من أهمها: الأصول الاجتماعية للديمقراطية والديكتاتورية (Democracy, 1967-1966 The social Origins of Dictatorship and)، الذي قدّم فيه تحليلاته بناءً على مقارناتٍ واسعةٍ للأحداث التاريخية في كلّ من إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وروسيا واليابان والصين عبر قرون. وقد ركّز مور اهتماماته الأولوية على طبيعة العنف والصدمات التي تتشكّل من خلالها الدول الوطنية، بحيث إن الجهات الفاعلة الرئيسة في هذه الصراعات هي كلّ من البرجوازية وطبقة الفلاحين ثم جماعات مالكي الأرض.

ومن خلال هذه التحليلات، ميّز مور بين ثلاثة مساراتٍ تاريخية تقودنا إلى المجتمع الحديث: أول هذه المسارات هو الثورة البرجوازية (حالة إنجلترا، وفرنسا، والولايات المتحدة)، والمسار الثاني هو الثورة المحافظة (في كلّ من بروسيا واليابان)، وثالث هذه المسارات هي ثورة الفلاحين (في روسيا والصين). وقد أشار مور إلى أن امتيازات هذه الثورات ونتائجها دفعت إلى المزيد من التطوّر في هذه البلدان في اتجاه الديمقراطية (الثورة الإنجليزية في القرن السابع عشر، والثورة الفرنسية سنة 1789، والحرب الأهلية في أمريكا ما بين سنتي 1860 و1866)، أو الفاشية (الثورة «من فوق» في ألمانيا واليابان)، أو الديكتاتورية الشيوعية (ثورة «الفلاحين» في روسيا سنة 1917، والصين ما بين سنتي 1948-1949). وعلى الرغم من أن بارنغتون مور كان من الباحثين الذين لم يشاركوا كثيرًا في الحياة الأكاديمية، فإن أعماله أصبحت مصدرًا ملهمًا للجيل الذي تلاه من الباحثين. ومن أبرز طلبته كلّ من شارلز تيلي Charles Tilly وتيدا سكوكبول T. Skocpol، وهما يمثّلان ما يُسمّى بـ«السوسيولوجيا التاريخية الجديدة».

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

نشرت سكوكبول (\*1947- الباحثة الأمريكية في العلوم السياسية والسوسيولوجيا - أشهر أعمالها المعنون بـ States and Social Revolutions in 1979، الذي تفهم من خلاله الثورة الاجتماعية كآلية سريعة لتغيّر المجتمع والبنية الطبقية، مصحوبة بتمرد طبقيّ من الأسفل (1979: 33). وتقرُّ بأن الثورة نشأت كنتيجة غير مقصودة للنزاعات المتعدّدة التي شكّلها مجموعة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدولية. وتركّز في هذا العمل على ثلاث حالاتٍ محدّدة وهي: الثورة الفرنسية 1789، والثورة الروسية 1917، ثم الثورة الصينية 1949، التي كانت مسبقةً بحربٍ أهلية. وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين هذه الثورات، فإنه - حسب المؤلفة - هناك ميزات مشتركة بينها. فالثورة تحدث في البلدان المحرومة بطريقتٍ أو بأخرى، والتي تكون بنيتها الحاكمة غير متسقة داخلياً، وتفشل في الاستجابة الفعّالة للتحديات القائمة.

تجادل سكوكبول بأن هذه البلدان الثلاثة تميّزت بضعف قطاعها الزراعي، إلى جانب عدم قدرتها على الانتقال إلى زراعةٍ أكثر إنتاجيةً. وفي الحالات الثلاث، كانت هناك تمرداتٌ واسعة النطاق من قبل الطبقات الدنيا وبالخصوص بين الفلاحين. بالإضافة إلى أن النظام القديم كان عليه مواجهة التغيرات المفاجئة في الدول المجاورة التي كانت تتمتع بقوةٍ اقتصادية وعسكرية أكبر، وواجهت البلدان الثلاثة سلسلةً من الهزائم العسكرية بفترة قصيرة قبل ثوراتها. بحيث أعطت سكوكبول أهميةً كبيرةً للعلاقات المتبادلة بين الدول، والظروف الدولية، مما أدى إلى انزياحها عن الأفكار المتعلّقة بسيرورة الثورة التي صاغها أستاذها بارينغتون مور، مما ساهم حتماً في تطوير المساهمة في إغناء السوسيولوجيا المقارنة (انظر أيضاً: Skocpol 1985).

إلى جانب سكوكبول، كان تشارلز تيلي (1929-2008) من أبرز تلامذة مور، وقد كتب تيلي أكثر من خمسين كتاباً في مسيرته الأكاديمية التي كانت تتوزع على ثلاثة مجالات ذات صلة، من بينها اهتمامه بتحليل الحركات الاجتماعية والاحتجاجات والسلوك العنيف (حصّة الأسد من أعماله)، إلى جانب تطويره لنظرية السوسيولوجيا التاريخية، وكان أيضاً مؤلفاً لنظرياتٍ تاريخية مقارنة. وفي بداية حياته المهنية، نشر كتاباً بعنوان: Vendée 1964, 1973، الذي تطرق فيه للتمرد في ساحل غرب فرنسا سنة 1793، والذي فُسر على أنه محاولةٌ ميئوس منها من طرف فئة قروية عريضة لإفشال الثورة الحضرية. فقد تحدّث تيلي - مثل مور وسكوكبول - عن مشاكل الثورات (1978). وبالنسبة إليه، فإن الفعل القسري الجماعي ناتجٌ عن دمجٍ بين أربعة عوامل من بينها: اهتمامات مجموعة مشتركة، والانتظام وفق بنية تنظيمية محدّدة، وتعبئة الموارد والفرص الجماعية التي ترتبط بمجموعة ظرفية محدّدة جاهزة للاستغلال.



تتميّز أعمال تيلى بأنها ذات طبيعة مرّبة، وبنيات كبيرة، وسيوروات واسعة، ومقارنات عريضة (1984)، والتي يتجسّد هدفها في تقييم الأحداث الكبرى في حقل السوسولوجيا المقارنة، وخاصةً في عمل (1995) European States, AD 990-1990 (Coercion, Capital and)، الذي تساءل فيه عن كيفية تشكيل الدول والاقتصادات الحديثة في أوروبا منذ الفترة المبرّرة من العصور الوسطى. وعلى عكس المؤلّفين الذين يمثّلون المواقف الماركسية - مثل بييري أندرسون ومانويل والرستين (1979, 1974, 1980, 1989) Perry Anderson, Immanuel Wallerstein - والذين يؤكّدون من جانب واحد على أهمية السوروات الاقتصادية، فإن تيلى رأى عاملاً رئيساً ثانياً في مجال تشكيل السلطة العسكرية وتركّزها.

إلى جانب كلّ من سكوكبول وتيلى، هناك باحث آخر مهم في حقل السوسولوجيا التاريخية الجديدة، وهو ميشيل مان Michael Mann (( \* 1942 مؤلّف العمل المهم المكوّن من مجلدين (1986, 1993) The Sources of Social Power، الذي ركّز فيه على التطوّر في مجال السلطة الاجتماعية وتكويناتها. إلى جانب هذا، نشر سنة 2005 عملاً معنوناً بـ«الجانب المظلم للديمقراطية»، الذي كرسه لقضية الإبادة الجماعية. فقد رأى ميشيل مان أن السلطة الاجتماعية تُخلق من أربعة عناصر أساسية، التي تُسمّى نموذجاً IEMP، وهي: السلطة الأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية والسياسية. ويمكن تلخيص القوة السياسية والعسكرية في إطار مفهوم السلطة الجيو-سياسية.

تتبّع ميشيل مان تطوّر السلطة الاجتماعية على نحوٍ محدّد من مرحلة بلاد ما بين النهرين (أي 5000 سنة قبل الميلاد) إلى بداية الرأسمالية الدولية في شمال غرب أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، من خلال ملاحظته لأنواع مختلفة من السلطات في سياقات تاريخية مختلفة. ووفقاً لميشيل مان، فقد تمّ تكوين نوعين من السلطات على مدار التاريخ: السلطة الأولى كانت تتجلى في الإمبراطوريات مع هيمنة القوة العسكرية - الإمبراطوريات المهيمنة (مثال على ذلك الإمبراطورية الرومانية). أما السلطة الثانية، فقد كانت تتجلى في الحضارات التي تضمّ ممثلين متعدّدين للسلطة (حضارة - فاعل - متعدّدة السلطات)، ولا تعمل في المجال السياسي والعسكري فقط، بل في المجال الاقتصادي والأيديولوجي أيضاً (المدينة-الدولة في اليونان القديمة مثلاً).

في حين تتجه الإمبراطوريات القائمة على موقعٍ مهيمٍ للسلطة العسكرية إلى الانهيار واللامركزية، تتطور الحضارات التي تتضمّن فاعلين متعدّدين للسلطة وتتوجّه نحو مركزية أكبر. فقد نتج عن ظروفٍ تاريخية - بحسب تصور ميشيل مان - تحول تدريجيّ في مركز السلطة الشمالية الغربية

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

من بلاد ما بين النهرين ومصر، مروراً باليونان وروما نحو أوروبا الغربية التي أصبحت في القرن الثامن عشر مرتبطةً بشكلٍ أوثقٍ بأربع أنظمة مؤسسية: الاقتصاد الرأسمالي، والتصنيع، والدولة الوطنية، وحضارة سياسية دبلوماسية متعدّدة الجنسيات (1986: 471). وبفضل هذا أصبحت شكلاً من الحضارة مع فاعلين متعدّدين للسلطة.

والمفهوم التركيبي الآخر في السوسيولوجيا التاريخية هو نظرية النظام العالمي، التي تشكّلت خارج الحقل المسمّى بالسوسيولوجيا التاريخية، أي تحليل النظام العالمي، وممثّله الرئيس إمانويل ولورستين (Immanuel Wallerstein\* 1930)، وقد طُوّر بشكلٍ أساسيٍّ انطلاقاً من مصدرين ملهمين: الأول هو الماركسية الجديدة بنظرياتها حول التبعية (نظرية التبعية) التي نشأت مع ولورستين، والمصدر الثاني هو مفهوم العلم التاريخي مع فيرناند بروديل.

ميّز ولورستين (1974-1980-1989) النظام العالمي بأنه نظامٌ إقليميّ مترابطٌ متصلٌ بروابط اقتصادية، والذي يميّز باللامساواة والاستغلال، ويرتبط بشكلٍ أساسيٍّ بالتبادل الاقتصادي - البلدان الغنية والمتقدّمة المسماة بالنواة، والبلدان الفقيرة غير المتطورة تقع بالهوامش. ليحلّل ولورستين في هذا السياق كيفية تطوّر هذا النظام على مراحل دورية من القرن الخامس عشر حتى الوقت الحالي، حيث تتناوب فترات النمو مع فترات الكساد الاقتصادي. نُوقش مفهوم ولورستين بشكلٍ نقديٍّ من طرف مجموعةٍ من المؤلّفين (من بينهم سكوكبول)، ومنذ التسعينيات من القرن الماضي اعتُبر من ضمن النظريات المعاصرة للعولمة.

يُطلق على فرعٍ مهمٍّ في السوسيولوجيا التاريخية: التحليل الحضاري المقارن Comparative Civilizational Analysis، الذي يمثّله شميل نوح إيسينستاد (Shmuel Noah Eisenstadt, 1923-2000) وباحثون آخرون منهم جاغوسال كروجسي (Jaroslav Krejci 2002)، الذي ركّز على الأمد الطويل لتطوّر الحضارات، مستوحاة من أعمال المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold J. Toynbee ، وانشغل الباحث جوهان بال أرناسون (Jóhann Páll Árnason) (2003-2005) بدراسة العلاقة بين تطوّر الحضارة والتحديث.

يُعَدُّ عمل إيسينستاد Eisenstadt السوسيولوجي معروفاً بطابعه التركيبي والعابر للتخصّصات، متأثراً في البداية بالوظيفية البنيوية لتالكوت بارسونز. ومن بين أهم أعماله كتاب (The Political System of Empires 1963) الذي تعامل فيه مع فئة واسعة من المجتمعات الما-قبل صناعية، لا سيما تلك التي وُصفت بأنها «إمبراطوريات بيروقراطية تاريخية».



وفي المرحلة الثانية من بحثه، انحرف إيسينستاد عن البنيوية الوظيفية، وأصبحت نقطة تفكيره تتركز على مصطلح العصر المحوري Axial Age (Achsenszeit) المستعار من الفيلسوف الألماني كارل جاسبير Karl Jaspers، والذي يعني الفترة من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الثاني قبل الميلاد، التي ظهر فيها فكر ثوري جديد: فلسفة أفلاطون في الغرب وأنبياء إسرائيل، والتي تبعتها المسيحية، والزرادشية في بلاد فارس، والبوذية في الهند، والكنفوشيوسية والطاوية في الصين. فبالنسبة إلى إيسينستاد، فإن هذه هي نقطة الانطلاق من أجل إعادة تقييم مسألة الأخلاق الاقتصادية لديانات العالم التي تناولها ماكس فيبر. بحيث يسمح العصر المحوري Axial Age لإيسينستاد بإجراء تحليل منهجيٍّ مقارنٍ لإمكانية تغيير حضاراتٍ مختلفة (1986، 1987، 1992، A، B، C، D)، وفي الوقت نفسه يفتح الطريقَ أمام تطوير مفهوم الحداثة المتعددة (2000، 2003، 2006a، B، 2007).

فمفهوم الحداثة المتعددة يتناقض مع المفاهيم الشمولية والمفاهيم السائدة التي ترى أن الحداثة يمكن أن تتخذ شكلاً واحداً (غريباً)، ومن هذا المنظور تدخل إيسينستاد في هذه المناقشات التي دارت حول نهاية التاريخ لفوكوياما Fukuyama (1992، 2006) وحول كتاب هنتنغتون Huntington حول صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي (1996). بحيث انتقد سداجة فوكوياما من خلال ربطه التحديث بالغريب modernization with Westernization، وأيضاً هينتنغتون الذي رأى الحضارات كياناتٍ أصلية معطاة.

يعتقد إيسينستاد أن الأنماط الغربية للحداثة لا تمثل حادثة «أصلية» منفردة، على الرغم من أنها تلعب دوراً مهماً بكونها سابقة تاريخياً وتظل نقطة مرجعية أساسية للآخرين. إلا أن إيسينستاد يرى أنه في عالم اليوم نجد مظاهر متعددة، تنافس الحداثة بأنماطٍ موجهة، تكون فيها متصلة مع ثقافاتٍ وحضاراتٍ محورية وغير محورية.

فالسوسولوجيا التاريخية السائدة تحدّد مشاريع كبيرةً وطموحةً وذات طبيعةٍ متعددة التخصصات (سكوكبول، وتشارلز تيلي، وميشيل مان، وفاليرستسن، وإيسينستاد)، الموجهة نحو تحليلٍ مقارنٍ واسع النطاق يتبع المنظورات العالمية على فتراتٍ زمنية طويلة. إلا أن الحقل بأكمله لا يُستنزف من قبل هذه المشاريع. فهناك أيضاً عدد من مجالات البحث المحددة، Buhel 2003، 2007، subrt، schutzeichel 2004، Delanty 2003)، بما في ذلك مشكلات العقلية الجماعية والعادات والأحاسيس والذاكرة الجماعية والوعي التاريخي والصدمات الثقافية. فالسوسولوجيا التاريخية اليوم مجالٌ متنوعٌ يبذل جهداً في تطوير النظرية العامة، وله عدد من النظريات الخاصة، ويتراوح

## ترجمات | التاريخ والسوسيولوجيا: ماهي السوسيولوجيا التاريخية؟

في اتجاهاتٍ متخصصة، ويطوّر البحث على المستوى التجريبي أيضًا، مما يشير إلى أن السوسيولوجيا والتاريخ لم ينفصلا تمامًا، بل على العكس من ذلك؛ لأن حجم الحوار الحالي بين الفرعين يتطور ويتكثف بشكلٍ أكثر.



## المراجع: ◀

- Abrams, Philip 1982. Historical Sociology. Shepton Mallet: Open Books.
- Anderson, Perry 1979. Die Entstehung des absolutistischen Staates. Frankfurt/ Main: Suhrkamp.
- Árnason, Jóhann Páll 2003. Civilizations in Dispute: Historical Questions and Theoretical Traditions. Leiden: Brill.
- Árnason, Jóhann Páll, 2005. Axial Civilizations and World History. Leiden: Brill.
- Bellah, Robert N. 1969 (1957). Tokugawa Religion: The Values of Pre-Industrial Japan. New York:Free Press.
- Bendix, Reinhard 1960. Max Weber: An Intellectual Portrait. Garden City, N.Y.: Doubleday, Bendix Reinhard, 1996 (1964). Nation-Building & Citizenship: Studies of our Changing Social Order. New Brunswick, NJ: Transaction.
- Bryant, Joseph M. 1994. „Evidence and Explanation in History and Sociology: Critical Reflections on Goldthorpe’s Critique of Historical Sociology.“ In: The British Journal of Sociology. Vol. 45, pp. 3-19.
- Bühl, Walter L. 2003. Historische Soziologie: Theoreme und Methoden. Münster: Lit.
- Burke, Peter 1989. Soziologie und Geschichte. Hamburk: Junius.
- Burke, Peter 2007. Společnost a vědění: Od Gutenberga k Diderotovi. (Society and Knowledge.) Praha: Karolinum.
- Delanty, Gerard (ed.) 2003. Handbook of Historical Sociology. London: Sage.
- Eisenstadt, Shmuel Noah 1963. The Political Systems of Empires: The Rise and Fall of the Historical Byrocratic Societies. New York: Free Press.

- Eisenstadt, Shmuel Noah (ed.) 1986. The Origins and Diversity of Axial Age Civilisations. New York: SUNY Press.
- Eisenstadt, Shmuel N. (ed.) 1987. Kulturen der Achsenzeit: Ihre Ursprünge und ihre Vielfalt. I., II. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Eisenstadt, Shmuel N. (ed) 1992a. Kulturen der Achsenzeit II. Ihre institutionelle und kulturelle Dynamik Teil 1 China, Japan. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Eisenstadt, Shmuel N. (ed) 1992b. Kulturen der Achsenzeit II. Ihre institutionelle und kulturelle Dynamik Teil 2 Indien. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Eisenstadt, Shmuel N. (ed) 1992c. Kulturen der Achsenzeit II. Ihre institutionelle und kulturelle Dynamik Teil 3 Buddhismus, Islam, Altägypten, westliche Kultur. Frankfurt am Main: Suhrkamp.
- Eisenstadt, Shmuel N. 1992d. „Die chinesische Geschichtserfahrung.“ In: Eisenstadt Shmuel (ed), 1992a, Kulturen der Achsenzeit II. Ihre institutionelle und kulturelle Dynamik Teil 1 China, Japan , Suhrkamp, Frankfurt am Main, pp. 11-24.
- Eisenstadt, Shmuel Noah 2000. Vielfalt der Moderne. Weilerswist: Velbrück Wissenschaft.
- Eisenstadt, Shmuel N. 2003. Comparative Civilizations and Multiple Modernities, 1, 2. Leiden: Brill.
- Eisenstadt, Shmuel Noah 2006a. The Great Revolutions and the Civilizations of Modernity. Leiden: Brill.
- Eisenstadt, Shmuel Noah 2006b. Theorie und Moderne: Soziologische Essays. Wiesbaden: VS Verlag 2006.
- Eisenstadt, Shmuel Noah 2007. Multiple Modernities: der Streit um die Gegenwart. Berlin: Kulturverl. Kadmos.
- Elias, Norbert 1976. Über den Prozeß der Zivilisation: Soziogenetische und psychogenetische.





- Untersuchungen. Bd. 1., II. Frankfurt/ am Main: Suhrkamp Verlag.
- Elias, Norbert 1983. Die höfische Gesellschaft: Untersuchungen zur Sociologie des Königtums und der höfischen Aristokratie. Frankfurt/ main: Suhrkamp.
- Elias, Norbert 2006. Spoločnosť indivíduí. (Die Gesellschaft der Individuen.) Bratislava: Kalligram.
- Foucault, Michel 1999. Vůle k věděni: Dějiny sexuality I. (Histoire de la sexualité: La volonté de savoir.) Praha: Hermann a synové.
- Foucault, Michel 2000. Dohlížet a trestat: Kniha o zrodu vězeňství. (Surveiller et punir.) Praha Dauphin.
- Fukuyama, Francis 2006 (1992). The End of History and the Last Man. New York: Free Press. Gellner, Arnošt (Ernest) 1993. Národy a nacionalismus. (Nations and nationalism.) Praha: Hříbal.
- Gellner, Ernest 2001. Pluh, meč a kniha: Struktura lidských dějin. (Plough, Sword, and Book.) Brno: Centrum pro studium demokracie a kultury.
- Gellner, Ernest 2002. Nacionalismus. (Nationalism.) Brno: Centrum pro studium demokracie a kultury.
- Giddens, Anthony 1979. Central Problems in Social Theory. London: Macmillan.
- Giddens, A. 1988. Die Konstitution der Gesellschaft. Grundzüge einer Theorie der Strukturierung. Frankfurt/M.: Campus.
- Goldthorpe, John H. 1991. „The Uses of History in Sociology: Reflections on Some Recent Tendencies.“ In: The British Journal of Sociology. Vol. 42, pp. 211-230.
- Goldthorpe, John H. 1994. „The Use of History in Sociology: A Reply.“ In: The British Journal of Sociology. Vol. 45, 1994, pp. 55-77.
- Homans, George C. 1941. English Villagers of the Thirteenth Century. New York: Russell & Russell.

- Huntington, Samuel P. 1996. Clash of Civilizations and the Remaking of the World Order. New York: Simon and Schuster.
- Käsler, Dirk 1976, 1978. Klassiker der soziologischen Denkens. Bd. 1, 2. München: C. H. Beck.
- Koselleck, Reinhart – Bruner, Otto – Conze, Werner (ed.) 1972-1997. Geschichtliche Grundbegriffe: Historisches Lexikon zur politisch-sozialen Sprache in Deutschland. Band 1-8. Stuttgart: Ernst Klett.
- Koselleck, Reinhart 2006. Begriffsgeschichten: Studien zur Semantik und Pragmatik der politischen und sozialen Sprache. Frankfurt/Main: Suhrkamp.
- Krejčí, Jaroslav 2002. Postižitelné prudy dějin: Civilizace a sociální formace, struktury a procesy, kultura a politika, revoluce a renesance, náboženství, národy a státy. Praha: Sociologické nakladatelství.
- Lipset, Seymour Martin 1963. The First New Nation: The United States in Historical and Comparative Perspective. New York: Basic Book.
- Loužek, M. 2001. Spor o metodu. Praha: Karolinum.
- Mann, Michael 1986, 1993. The Sources of Social Power. Vol. 1, 2. Cambridge: Cambridge University Press.
- Mann, Michael 1994. „In Praise of Macro-Sociology: A Replay to Goldthorpe.“ In: The British Journal of Sociology. Vol. 45, pp. 37-54.
- Mann, Michael 2005. The Dark Side of Democracy: Explaining Ethnic Cleansing. Cambridge: Cambridge University Press.
- Merton, Robert K. 1970 (1938). Science, Technology and Society in Seventeenth Century England. New York: Howard Fertig.
- Mikl-Horke, Gertraude 1999. „Die Wiederkehr der Geschichte: Zur historischen Soziologie der Gegenwart.“ In: Österreichische Zeitschrift für Soziologie. 19/3, pp. 3 – 33.



- Moore, Barrington 1967 (1966). Social Origins of Dictatorship and Democracy: Lord and Peasant in the Making of the Modern World. London: Allen Lane.
- Mouzelis, Nicos 1994. „In Defence of ‘Grand’ Historical Sociology.“ In: The British Journal of Sociology. Vol. 45, pp. str. 31-36.
- Parsons, Talcott 1971a. Společnosti: Vývojov. a srovnávací hodnocení. (Societies) Praha: Svoboda.
- Parsons, Talcott 1971b. The System of Modern Societies. Englewood Cliffs: Prentice-Hall.
- Popper, Karl R. 2000. Bída historicismu. (The Poverty of Historicism) Praha: Oikúmené.
- Schützeichel, Reiner 2004. Historische Soziologie. Bielefeld: Transcript 2004.
- Skocpol, Theda 1979. States nad Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia and China. Cambridge: Cambridge University Press.
- Skocpol, Theda 1985. Vision and Method in Historical Sociology. Cambridge: Cambridge University Press.
- Smelser, Neil J. 1959. Social Change in the Industrial Revolution. London: Routledge.
- Smith, Dennis 2006. „Historická sociální teorie.“ In: Harrington Austin a kol., Moderní sociální teorie. Praha: Portál. pp. 189-214.
- Sorokin, Pitirim A. 1937-1941. Social and Cultural Dynamics. New York: American Book Company.
- Spohn, Willfried 2005. „Neue Historische Sociologie: Charles Tilly, Theda Skocpol, Michael Mann.“ In: Kaesler Dirk (ed.), Aktuelle Theorien der Sociologie. München: Beck, pp. 196-230.

- Šubrt, Jiří (ed.) 2007. Historická sociologie: Teorie dlouhodobých vývojových procesů. Plzeň: Aleš Čeněk.
- Tilly, Charles 1973. The Vendée: A Sociological Analysis of the Counter-Revolution of 1793. Cambridge, Mass.: Harvard University Press.
- Tilly, Charles 1995. Coercion, Capital and European States, AD 900-1990. Oxford: Blackwell.
- Wallerstein, Emmanuel 1974, 1980, 1989. The Modern World-System: Vol. 1, 2, 3. New York: Academic Press.
- Wiersing, Erhard 2007. Geschichte des historischen Denkens: Zuchleich eine Einführung ind die Theorie der Geschichte. Paderborn: Ferdinand Schöningh.



مركز نهوض  
للبحوث والدراسات  
NOHOUDH CENTER  
FOR RESEARCHS  
AND STUDIES